

انتقلت من جزين إلى محكمة استئناف الجزاء، وبقيت هناك إلى أيام الحرب الأولى، وقلت لكم إنني رجل طاعن في السن، ثم توليت بالوكالة رئاسة محكمة الجنايات نفسها. المحكمة هناك كانت تحكم في القضايا الجنائية وكانت المرجع الاستئنافي للحاكم البدائي في الأقضية. كان في لبنان سبعة أقضية: الشوف وهي قائمقامية درزية، وجزين والمتن والبترون وكسروان وهي قائمقامية مارونية، والكورة وهي قائمقامية أرثوذكسية، وزحلة وهي قائمقامية كاثوليكية، وإلى جانب هذا كان هناك مديرية مستقلة لها تشكيلات القضاء وإن تكن مديرية، هي مديرية دير القمر لوجودها في منتصف قضاء الشوف كان يأبى أبناء دير القمر أن يرتبطوا في قضاء الشوف الدرزي، فجعلت مديريتهم مديرية مستقلة. بقيت في محكمة الجنايات إلى أن وقع حادث اعتداء على حبيب باشا السعد. حبيب باشا السعد تربطنا به صداقة وثيقة عائلنا باعتبار كنا نحن وهم الشيخ سعد جدهم من جماعة الأمير يوسف شهاب، يعني مخلصي الأمير بشير، وهو كان سبب تعييني في الوظيفة، حبيب باشا، فوعدت عليه حادثة أمتني جدا لأنها وقعت على شخص يعز علي، ولأننا اتهمنا نحن بها، وقد مضت الأيام ولا سبيل إلى تبرئة المرء نفسه ولكن أقول لك لم يكن لنا أدنى علاقة بها، ولكن جماعة من الذين يشتغلون في لأملنا هم الذين اعتدوا. الاعتبارات السياسية، فرنسا ضد فرنسا، وهيدا مع فرنسا، ولكن غفر الله، له لو بقيت القضية منحصرة في الفاعل نفسه، لما أخذت الشكل السياسي، ولكن أراد أن يلبسنا هذا الثوب باعتبار أنها قضية سياسية ضد فرنسا وجماعة فرنسا وكذا، وعزلت من وظيفتي، وأرضاني ذلك العزل بما كان من احتجاج مجلس الإدارة رغما عن ... ما كانت وثيقة بهم كما رأيتكم اليوم في حياتي كانت ... على هذا المنوال، احتجاج قوي بمناسبة الحادث اللي صار. ولما كنا نهادي في القضية العربية وما يتبعها، اضرتت أن ألبأ إلى الشام، وهناك مسلك العدلية، عينت مفتش في العدلية، ثم مدير العدلية، ثم مدير الإعاشة، ثم مدير الأمن العام، ثم محافظ جبل لبنان، ثم الحاكم العسكري فيه. وانتهيت بحكم التقاعد الذي ينتهي إليه كل رجل انتهى بالسن التي انتهيت إليها. فأنا ثمانية وأربعين سنة في التقاعد. فبعض الرؤساء في الدول ينهون حياتهم إما بتربية الدجاج كما يفعل رؤساء أميركا، رأيت أولى أن أربي الأيتام أفضل من تربية الدجاج. ففقت بعمل لست راضيا عنه ومتأسفا أنني باشرته، ولكن سوء حظي قضى به، ذلك أنني اشتغل بين قوم لا يقدرين هذه الأعمال بشكل من الأشكال. تصوروا، الطائفة طائفتنا ليس لها نائب، هي الطائفة الوحيدة في لبنان التي لا نائب لها، عليها نواب ولكن لا نواب لها. و ليكن كلامنا معززا بالواقع، لنا ست نواب أسعدهم في عاليه، القضاء الذي كان من حق لو روعي التاريخ اللبناني أن يسمى قضاء الغرب لا قضاء عاليه كما سمي هناك قضاء الشوف. فهنا لنا نائبان من خمسة مع حزبيتنا وانقساماتنا لو بذلنا كل ما نملك من جهد لا نستطيع أن ننتخب هذا المجلس. ننتقل من هنا إلى القاعة، واحد من ثلاثة أكثر سوء، ننتقل إلى الشوف أسوأ وأسوأ اثنين من تمانني، بالمتن واحد من خمسة، لذلك النائب الدرزي يضطر أحيانا أن يعلن النصرانية وأحيانا أن يعلن الإسلامية وهو لا يؤمن بهذا ولا بذلك، ولكن يؤمن كما يؤمن كل نائب من النواب، أو كل موظف أو مستوظف بمصلحته الخاصة الشخصية.